مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
المجلد الثامن العدد الأول، يونيو 2025،
ص ص135- 172
Arts & Humanities Journal
Vol. 8, Issue no. 1, Jun, 2025, pp. 135-172
Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561 Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X

لفظة (ضِيزَى) في سورة النجم
دراسة لغوية فنية تحليلية

الدكتور/ عبدالحفيظ خضر محمد بادي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية
كلية اللغات والعلوم الإنسانية بريدة– جامعة القصيم
bady@qu.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 25/ 2/ 2025 **تاريخ قبوله للنشر: 10/ 3/ 2025**

موقع المجلة: https://taiz.edu.ye/tujr/index.php/ahs

لفظة (ضِيزَى) في سورة النجم
دراسة لغوية فنية تحليلية

د. عبدالحفيظ خضر محمد بادي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية- كلية اللغات والعلوم الإنسانية بريدة- جامعة القصيم

ملخص البحث

يتناول الباحثُ في هذا البحث لفظة (ضِيزَى) في القرآن الكريم بالدراسة اللغوية والتحليل البلاغي، وجاء مخطط الدراسة في ثلاثة مباحث، اهتمّ المبحث الأول بالدراسة اللغوية والتاريخية لمصطلحي (غريب القرآن) و(الفرائد)، وذلك لأن لفظة (ضِيزَى) وردت تحت هذين المصطلحين في كتب القدماء والمُحدثين، واتّضح للباحث أن المصطلحين مختلفان في نشأتهما، حيث اهتم مصطلح (غريب القرآن) بدراسة الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم، أما مصطلح (الفرائد) فقد ورد أولاً في كتاب (التحرير والتحبير) لابن أبي الأصبع، وكان يعنى به الألفاظ البديعة الساحرة التي تشبه الجواهر النفيسة في عقود النصوص اللغوية عامة، ثم ظهر تعريف حديث لمصطلح الفرائد، وهو (الفرائد القرآنية) يركز على دراسة ألفاظ القرآن الكريم فقط، فأصبح بذلك مرادفاً لمصطلح (غريب القرآن). أما المبحث الثاني فكان دراسة لغوية دلالية للفظة (ضِيزَى) اعتمد فيه الباحث على مصنفات علم التفسير وغريب القرآن وكتب اللغة، وتبين للباحث أن عبارة (قسمةٌ ضِيزَى) في القرآن الكريم تعني قسمة مائلة جائرة، وقد استخدم العلماء ألفاظاً كثيرة للتعبير عن معنى هذه اللفظة، كما تناول الباحث أصل لفظة ضيزى بالبحث والدراسة، وتبيّن له أن لفظة (ضِيزَى) قد وردت فيها أربع لغات، وأتت لفظة (ضِيزَى) في القرآن الكريم على وزن (فِعلى) خلافاً للأصل الذي تعارف عليه علماء اللغة. أما المبحث الثالث فتناول الباحثُ لفظة (ضِيزَى) دراسة بلاغية وجمالية من خلال سرد آراء البلاغيين في أوجه غرابتها وبلاغتها وإعجازها واستخدامها، إذ وردت بهذه الغرابة لتناسب تلك القسمة الغريبة الجائرة. كما تناول الباحث بالدراسة والتحليل الجوانب الصوتية والجمالية لجرس لفظة (ضِيزَى) وإيقاعها ومقاطعها الصوتية من خلال سياقها القرآني، مبيناً أسباب غرابة جرسها وإعجازها الفني.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، البلاغة، الإعجاز الفني، ضِيزَى، غريب القرآن، الفرائد، الجرس، الإيقاع.

The term "Dizza" In Surat Al-Najm: Alinguistic ،artistic and analytical study

Dr. Abdelhafiz Khidir Mohammed Badi
Assistant professor of rhetoric and criticism-Department of Arabic Language-College of languages and Humanities-Qassim. University Buraida

Abstract

In this research, the researcher examines the term "Ḍiza" (diza) in the Holy Quran through a technical study and rhetorical analysis. The study is structured in three sections. The first section focuses on the linguistic and historical study of the terms "gharīb al-Quran" (Arabic for "Arabic for "Gharīb al-Quran") and "al-fārā'id" (Arabic for "Pearls"). This is because the term "Ḍiza" appears under these two terms in the books of both ancient and modern scholars. It became clear to the researcher that the two terms differed in their origins. The term "gharīb al-Quran" (Arabic for "Arabic for "Gharīb al-Quran") focused on studying the strange words found in the Holy Quran. The term "al-fārā'id" (Arabic for "Pearls") first appeared in the book "Al-Tahrir wa al-Tahbir" (The Book of At-Tahrir wa al-Tahbir") by Ibn Abi al-Asba'. It referred to the exquisite, enchanting words that resemble precious jewels in the linguistic texts in general. A modern definition of the term "al-fārā'id" (Arabic for "Quranic Pearls") later emerged, focusing on the study of the words of the Holy Quran only. It thus became synonymous with the term "gharīb al-Quran" (Arabic for "Arabic for "Gharīb al-Quran"). The second chapter was a linguistic and semantic study of the word (Ḍiza), in which the researcher relied on the works of interpretation, strange words in the Quran, and language books. The researcher found that the phrase (qasmatun Ḍiza) in the Holy Quran means an unfair slanted division, and scholars have used many words to express the meaning of this word. The researcher also studied the origin of the word (Ḍiza), and found that the word (Ḍiza) has been used in four languages. The word (Ḍiza) in the Holy Quran has the form (fiʿla), contrary to the original form agreed upon by linguists. As for the third chapter, the researcher studied the word (Ḍiza) from a rhetorical and aesthetic perspective by listing the opinions of rhetoricians on the aspects of its strangeness, eloquence, and usage, as it was used in this strange way to suit that strange and unfair division. The researcher also studied and analyzed the phonetic and aesthetic aspects of the sound of the word (Dhizi), its rhythm, and its phonetic segments through its Qur'anic context, explaining the reasons for the strangeness of its sound and its artistic miracle.

Keywords: The Holy Quran, rhetoric, artistic inimitability, dizza, gharib'

al Quran, alfraid, tone, rhythm.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي أنزل كلامه القرآن بأفصح لسان، وأبلغ بيان، وأوضح برهان، وتولى حفظه على مر الليالي والأيام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن مما لا شكّ فيه أنّه ما من كتاب بين أيدي الناس قد حظي باهتمام العلماء والدارسين، ونال مكانة كبيرة في نفوس البشر أجمعين مثل ما حظي به القرآن الكريم، حيث أقبل العلماء على القرآن الكريم قديماً وحديثاً، وصنّفوا فيه تصانيف واسعة، وبسطوها بسطاً وفيراً، ومن أهم القضايا التي حازت نصيباً كبيراً في تراث علمائنا الفكري، قضية إعجاز القرآن الكريم.

لقد فرضت قضية إعجاز القرآن الكريم نفسها منذ وقت مبكر على السلف من علماء المسلمين، وتعدّدت أقوالهم في وجوه إعجاز القرآن. وأيّاً ما قالوا في ذلك، فإنّ الأمر الذي لا ريب فيه هو أنّ إعجاز القرآن من جهة البلاغة والفصاحة لم يكن قطّ موضع جدل أو خلاف بين العلماء، وإنّما كان الجدل بين أهل النظر في وجوه الإعجاز الأخرى في القرآن الكريم. ففي حين قصرت طائفة من العلماء إعجاز القرآن الكريم على بلاغته وفصاحته، رأت طائفة ثانية أنّ القرآن معجز فيما تضمّنه عن الأخبار الماضية والمستقبلية، ورأت طائفة ثالثة أنّه معجز فيما قرّره في تشريعه وسائر الأحكام. ورأى آخرون أنّ القرآن معجز فيما تضمّنه من العلوم الكونية والإنسانية، وعجز آخرون عن تتبع مجالات الإعجاز في القرآن فقالوا بالصّرفة، وجمع الراغب الأصفهاني أقوال السابقين في قوله: (وجَعَلَ من مُعجزةِ هذا الكتاب أنه مع قِلّةِ الحجمِ مُتضمّنٌ للمعنى الجمِّ، وبحيث تَقصُرُ الألبابُ البشريّةِ عن إحصائهِ، والآلاتُ الدنيويةُ عن استيفائهِ)[1].

فالقرآن الكريم كلام الله معجز للبشر في أسلوبه ونظمه ومعانيه وغيوبه وعلومه، وقد أصبح البحث في القرآن الكريم وألفاظه كما يقول العلماء: واجباً شرعاً وهو من

فروض الكفاية، فمن القرآن الكريم سطعت شمسُ علوم اللغة والأصوات والدلالة، وأشرق بدر البلاغة والبيان، وأضاء نجم علوم المعاجم والمعاني والدلالات، وازدانت روضة الأساليب بشتى أنواع الأزاهير والثمار الدانية، واستنارت الدنيا بمصنفات التفسير وكتب علوم القرآن وكتب غريب القرآن، وكتب الفكر. ولا عجب أن تكون دراستنا هذه حول لفظة من ألفاظ القرآن الكريم، وهي لفظة (ضيزى) في قوله تعالي: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ النجم [22]، وتتضح لنا أهمية دراسة ألفاظ القرآن من قول الراغب الأصفهاني: (إن أوّلَ ما يُحتاجُ أن يُشتَغَلَ به من علومِ القرآنِ، العلومُ اللفظيةُ، ومن العلوم اللفظية تحقيقُ الألفاظِ المفردة، فتحصيلُ معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائلِ المُعاوِنِ في بناء ما يريدُ أن يبنيَهُ، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كُل علم من علوم الشرعِ، فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلامِ العربِ وزبدتُهُ، وواسطتُه وكرائمُه، وعليها اعتمادُ الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمِهم. وإليها مَفزعُ حُذّاقِ الشعراءِ والبلغاءِ في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المُتفرّعَات عنها والمُشتقّات منها هو بالإضافة إليها كالقُشُور والنّوى إلى أطايب الثمر)[2].

منهج البحث:

يسير هذا البحث على المنهج المتكامل، ذلك المنهج الذي يتكئ أساساً على المنهج الفني من خلال تحليل القيم التعبيرية والشعورية لمادة البحث، كما يستضئ بالمنهج التاريخي الذي نستخدمه لتتبع مصطلحات (غريب القرآن) و(الفرائد) ولفظة (ضيزى) في كتب السابقين، وآراء العلماء في كتب غريب القرآن وتفاسيرهم عن أصل لفظة (ضيزى) في اللغة العربية، وسيرها عبر مصنفات السابقين وحركة الزمن، مهتدين في ذلك بتواريخ وفيات العلماء، حتى نتعرف على إفادة اللاحقين من علوم السابقين، لنحكم لكل عالم بفضل ما قدّم، كما يستعين البحث بالمنهج التحليلي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً وصرفياً لمعرفة أصل اشتقاق الألفاظ، ثم المنهج النفسي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها والانفعالات النفسية وآثارها الفنية، وقيمتها الجمالية، وسرها البلاغي، فمناهج البحث تنفع وتفيد حين نتخذها منارات ومعالم تضئُ لنا طريق البحث، لكنها تضر

وتفسد حين نتخذها حدوداً وقيوداً.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلات هذا البحث في ما يأتي:

1- التعرّف على دلالة مصطلحي غريب القرآن والفرائد.

2- أهمية دراسة ألفاظ القرآن الكريم لدى البلاغيين.

3- دراسة لفظة (ضيزى) من منظور بلاغي سياقي، لإثبات إعجاز ألفاظ القرآن الكريم.

4- توضيح علة عدم تكرار الفرائد القرآنية في سياق آخر، أو ذكر مرادف لها في موضعها.

5- النكات البلاغية والأسرار البيانية من خلال دراسة لفظة (ضيزى).

أسئلة البحث:

1- ما التعريف اللغوي والاصطلاحي لغريب القرآن والفرائد القرآنية؟

2- ما العلاقة بين المصطلحين في دراسة ألفاظ القرآن؟

3- هل ورد لفظ (الفرائد) في مصنفات البلاغة والأدب، وما دلالته؟

4- ما الأسلوب الذي تناول به المفسرون والبلاغيون لفظة (ضيزى)؟

5- ما الحاجة إلى دراسة ألفاظ القرآن وتحليلها وتفسيرها ومعرفة أسرارها؟

6- هل اتسقت لفظة (ضيزى) مع سياقها القرآني؟

أهداف البحث:

1- التعريف بالفرائد القرآنية، وعلاقتها بغريب القرآن.

2- لإثبات ورود لفظة (الفرائد) في بعض مصنفات البلاغيين، ومؤلفات إعجاز القرآن الكريم.

3- دراسة لفظة (ضيزى) وتحليلها تحليلاً لغوياً وصرفياً وصوتياً وبلاغياً.

4- للتعريف بدلالة لفظة (ضيزى) الجمالية والفنية، حتى يسهل على الباحثين دراسة ألفاظ القرآن الأخرى.

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

5- تأكيد حاجة السياق القرآني من خلال آراء العلماء للفظة (ضيزى) دون غيرها من الألفاظ؛ لتناغمها وانسجامها مع جرس العبارة، ولإثبات اتساقها وتناسبها مع الإيقاع العام لسورة النجم.

الدراسات السابقة:

1) كتاب (اللفظ الفريد في القرآن المجيد) للأستاذ حسان أحمد راتب المصري الذي نُشر في العام 2011م، فبعد أن عرّف الكاتب الفرائد القرآنية، تناول الفرائد تناولا معجمياً عاماً، رتبها على حروف الهجاء، وبدأ من حرف الألف، من لفظة (الأبّ) في قوله تعالى من سورة عبس (وفاكهة وأبّا) إلى اللفظة الأخيرة التي وردت في سورة الأنعام (يَنْعِه) من قوله تعالى: (انْظُرُوا ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ويَنْعِهِ)، ومن ضمن هذه الفرائد تناول لفظة (ضيزى) التي انحصر فيها تناوله على الجانب اللغوي.

2) كتاب (الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية) للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الغني سرحان، والذي صدر بتاريخ 1433هـ- 2012م، تحدث في مقدمته عن (الفرائد القرآنية)، وعرفها تعريفاً حديثاً يتعلق بدراسة ألفاظ القرآن الكريم، مع أن مصطلح (الفرائد) كان يعنى لدي المتقدمين الألفاظ النفيسة كالجواهر والدرر في آيات القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي، ثم حدد الأستاذ الدكتور مسار بحثه في القصص القرآني.

3) بحث بعنوان (المسار الصرفي والدلالي لكلمة (ضيزى) دراسة صرفية ودلالية) للدكتورة منى أحمد الحسين كرار، وكان تاريخ النشر أول ديسمبر2022م، قسمت الباحثة بحثها إلى مباحث صرفية دراسات دلالية، ويمثل هذا البحث من خلال مساراته النحوية والصرفية المحددة بحثا مغايراً لما أود بحثه، إذ يتألف بحثي من ثلاثة مباحث، ويمثل المبحث الثاني فقط الدراسة اللغوية الدلالية، إضافة إلى اختلاف المصادر والمراجع والأسلوب البحثي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه البحث العلمي في جوانب مختلفة، منها:

1- دراسة لفظة (ضيزى) دراسة متكاملة صوتياً وصرفياً ودلالياً وفنياً، لتتضح

جوانب الإعجاز الفني، في هذه اللفظة الغريبة.

2- إثبات أن الأسلوب القرآني نظام دقيق محكم، فلكل حرف ولفظة أدوار صوتية وصرفية ودلالية تؤديها بدقة وانسجام أثناء السياق.

3- إن دراسة وجوه الإعجاز اللغوي والفني في القرآن الكريم وألفاظه من أجل العلوم وأشرفها، فمن تعرف على دقائق نظم القرآن الكريم؛ أدرك أهمية البحث في هذا الباب الواسع من الجمال.

4- إن دراسة جماليات النظم القرآني على مستوى اللفظة القرآنية الواحدة يكشف عظمة البناء اللغوي للقرآن الكريم، مما يكون سببا في إمتاع القارئ وإقناعه بفكرة دقة نظم القرآن الكريم.

5- كلما اتضحت دلالات مفردات القرآن الكريم؛ زاد الإقبال على القرآن الكريم، وقوي العزم، وارتقت الهمة، وسعت النفس للبحث والدراسة ونشر المعارف بين الآخرين.

المبحث الأول

مفهوم (غريب القرآن) و(الفرائد)

نحتاج في بداية هذا المبحث أن نتحدث عن مصطلحي (غريب القرآن) و(الفرائد)، وذلك لأن لفظة (ضِيزى) وردت في مصنفات غريب القرآن أولاً، ثم وردت لاحقاً في كتب (الفرائد)، وبما أن العِلمين مرتبطان ومكملان لبعضهما، بل هما رافدان لدراسة ألفاظ القرآن، فلا أود أن أفصل بينهما في هذا البحث، لكنني أود التأصيل لكليهما، وذلك من خلال تتبع نشأتهما وظهورهما في الساحة العلمية والنظر في مصنفات العلماء في كلا العلمين، وسنبدأ أولا بمصطلح (غريب القرآن) الذي ارتبط بألفاظ القرآن، من خلال التساؤل التالي، ما الغريب؟

ترجع كلمة "غريب" في أصلها اللغوي إلى مادة "غَرُب يغرُبُ غَرابةً وغُربةً، وغَرُبَ الكلام غَرابة غَمُضَ وخَفِي. فهو غريب"(3) وورد في تهذيب اللغة للأزهري: "الكلام الغريب، العقمِيُّ الغامضُ"(4) وقال ابن منظور: "الكلام الغريب الغامض"(5) وأشار الإمام

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

الجرجاني في "دلائل الإعجاز" إلى أن الكلام الحُوشي هو الكلام الغريب، واستشهد لذلك برأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حيث قال: "ألا ترى إلى قول عمر –رضي الله عنه– في زهير أنه كان لا يُعاظل بين القول، ولا يتتبع حوشيّ الكلام، فقرن الحُوشيَّ وهو الغريب من غير شبهة إلى المُعاظلة وهي التعقيد"[6].

وقد أورد الإمام أبو سليمان الخطابي في مقدمة كتابه "غريب الحديث" كلاما نفيساً عن معنى الغريب والغرابة في الكلام، آثَرتُ إيراده كاملا حتى لا يفقد شيئا من حلاوته ودلالته إذا عمدت إلى تلخيصه واختصاره، يقول أبو سليمان –رحمة الله: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته: أغرب عني: أي أبعد، ومن هذا قولهم: نوىً غَرْبَةٌ: أي بعيدة وشأوٌ مَغَرِّب، وعنقاء مغرب: أي جائية من بُعد. وكل هذا مأخوذ بعضه من بعض، وإنما يختلف في المصادر، فيقال: غَرَبَ الرجلُ يَغْرُبُ غَرْباً إذا تنحَّي وذهب، وغَرُبَ غُرْبةَ إذا انقطع عن أهله، وغربت الكلمة غرابة، وغربت الشمس غُرُوبا. ثم إنّ الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما: أن يُراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر. والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذِّ قبائل العرب، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم، وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدُّخلاء فيه"[7].

من هذا نستطيع أن نُعرِّفَ الكلام الغريب في اللغة العربية بأنه ما كان غامض الفهم لقلة استعماله، أو لدقة معناه. ويلتمس غريب اللغة في لهجات العرب وفي أشعارهم. كما قال ابن عباس: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[8] أما غريب القرآن فقد عقد له الإمام الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فصلاً بعنوان "معرفة غريبه"[9] قال فيه: "وهو معرفة المدلول[10].." أما أبو حيان الأندلسي فقد قسم لغات القرآن الكريم إلى قسمين، فقال: "قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصَّتُهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت. وقسم يختص بمعرفته منْ له اطلاع وتبحُّر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثرهم فيه، وسمَّوه غريب القرآن"[11]. فنلمح من تقسيم أبي حيان الأندلسي للغات القرآن، أن غريب

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

القرآن عنده ما غمض معناه على العامة وعرفته الخاصة.

وبتأملنا لما ورد في مصنفات العلماء في "غريب القرآن" نجد أن الغرابة في النص القرآني ترجع إلى سببين، ذكرهما الإمام الجرجاني حين قال: "إمّا من أجل استعارة فيه كمثل﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ البقرة [93]، و﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ يوسف [80]، و﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ الحجر [94]، أو تكون اللفظة غريبة في نفسها، وذلك في كلمات معدودة مثل ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ ص [16] و﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ القمر [13] ..."[12].

ويرجع تأريخ غريب القرآن إلى عهد الرسول -ﷺ- فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه -ﷺ- لتفسير ما غمُض من التراكيب، ولتوضيح ما صعُبت دلالته من الألفاظ. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يعلم أن النبي -ﷺ- بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل [44] يتناول هذا وهذا"[13] وكان منهجه -ﷺ- في تفسير القرآن وبيان معانيه قائما على الإيجاز والاختصار. يقول ابن خلدون: "كان النبي -ﷺ- يُبين المجمل، ويُميز الناسخ من المنسوخ، ويُعرفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه"[14] وأضاف دكتور فهد عبدالرحمن: "لم يكن الرسول -ﷺ- يطنب في تفسير الآية.. فكان جل تفسيره بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق، أو بياناً لمعنى لفظ، أو متعلقة"[15].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسمون فهم هذا الغريب "إعراب القرآن". أورد السيوطي في كتابه "الإتقان" أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه" وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا "من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات". ثم ذكر السيوطي: أن المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن"[16]. وبما أن الصحابة كانوا عربا خلصاً، لكنهم كانوا يتفاوتون في فهم القرآن وفي إدراك معانيه وأحكامه. قال مسروق: "جالست أصحاب محمد -ﷺ- فوجدتهم كالإخاذ، يعني الغدير، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل

الأرض لأصدرهم"[17]. وأشار إلى هذا المعنى كذلك العلامة ابن خلدون بقوله: "إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا، ولا كان الدّين يؤخذ عنهم جميعاً"[18].

ومما خفي من غريب القرآن على الصحابة، "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ عبس [31]. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: "إن هذا لهو التكلف يا عمر"[19]. وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كنت لا أدري ما فاطر السماوات، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها"[20]. إلى جانب هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم ابن عباس يلتمسون معاني القرآن الكريم بالرجوع إلى تراث العرب من الشعر، ومن أقوالهم في هذا المعنى "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[21]. وعندما سُئل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ الانشقاق [17] قال: ما جمع، وأنشد قول العجاج بن رؤبة:

إن لنا قلائصاً حقائقاً   مستوثقات لو يجدن سائقاً[22]

ثم توالت التآليف حول القرآن، فدونت مصنفات كثيرة في معاني القرآن، ومشكله، ومجازه، ولغاته، وقراءاته، ومتشابهه، ونظمه، وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت كتب متخصصة في دراسة غريب القرآن. ففي القرن الثاني الهجري ظهر تفسير غريب القرآن لزيد بن علي بن الحسين المتوفي سنة 122هـ، وكتاب غريب القرآن لآبان بن تغلب بن رباح المتوفي سنة 41هـ، وكتاب غريب القرآن لمحمد بن السائب بن بشر المتوفي سنة 146هـ، وكتاب تفسير غريب القرآن للإمام مالك بن أنس الفقيه المتوفي سنة 179هـ، وكتاب غريب القرآن للكسائي علي بن حمزة المتوفي سنة 189هـ، وهكذا سارت موجة المؤلفات القرآنية قوية متدافعة. وقد اعتبر علماء اللغة هذه المصنفات بمثابة النواة الأولى للمعاجم العربية.

ولم ينقطع التأليف في هذه القضية في العصر الحديث، فقد سجل الأستاذ الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن" فصلا عظيم النفع بعنوان "غريب القرآن"[23] قدّم فيه تعريفا دقيقا للغريب نال استحسان الكثير من العلماء والباحثين، حيث قال: "في القرآن الكريم ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة، أو نافرة،

أو شاذة. فإن القرآن مُنَزَّهٌ عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس"(24) ومنشأ الغرابة في تلك الألفاظ التي عدها العلماء من الغريب، يقول الرافعي: "أن يكون ذلك من لغات متفرّقة، أو تكون مستعملة على وجه من وجوه الوضع يخرجها مخرج الغريب، كالظّلم، والكفر، والإيمان، ونحوها مما نقل عن مدلوله في لغة العرب إلى المعاني الإسلامية المحدثة، أو يكون سياق الألفاظ قد دل بالقرينة على معنى معين، غير الذي يفهم من ذات اللفظ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ القيامة [18]. أي فإذا بيناه فاعمل به"(25). ولا يخفى علينا أثر الإمام عبد القاهر الجرجاني في ما ذكره الرافعي من تعريف للغريب، سواء أكان ذلك في الفكرة نفسها، أو في منهج عرضها، ولكننا نحمد للرافعي سهولة الأسلوب، والتدرج في عرض التعريف، والشواهد الحية التي ضمنها تعريفه.

وهنا يأتي سؤال: ما الفرائد؟ نود أن ندرس لفظة (الفرائد) من ناحية اللغة والاصطلاح ومن ثم نتعرف على ظهورها في الساحة العلمية، والتطور الذي حدث في معناها، فلفظة الفريدة في اللغة العربية تُطلق على الشّذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، كما تُطلق على الجوهرة النفيسة والدّرّة النفيسة، والواحدة فريدة، ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ): (والفريدُ: الشّذْر، والواحدة فريدة، وهو بلسان العجم الجاوَرْسَق، والجميع الجَوارس، والفرّاد بيّاع الفريد)(26). وورد في أساس البلاغة للزمخشري (ت 538هـ): (فلانٌ يفصل كلامه تفصيل الفريد، وهو الدّرّ الذي يفصلُ بين الذهب في القلادة المُفصّلة، فالدّرُّ فيها فريد، والذهبُ مفرَّدٌ، والواحدةُ فريدةٌ. قيل: الفريد الشذْر، ويُقالُ لبائعه الفرّاد، وتقولُ: كم في تفاصيل المبرَّد من تفصيل فريد ومفرَّد)(27). وقال ابن منظور (ت711هـ) صاحب معجم لسان العرب: (والفَرِيدُ والفَرَائدُ الشَّذَر الذي يفصلُ بين اللؤلؤِ والذهبِ، واحدتُهُ فريدةٌ، ويُقالُ له الْجاوَرْسَقُ بلسان العجمِ، وبيّاعُهُ الفَرّادُ، والفريدُ: الدُّرُّ إذا نُظم وفُصِلَ بغيرهِ، وقِيلَ: الفريدُ بغير هاءٍ الجَوْهرةُ النّفيسةُ، كأنّها مُفردةٌ في نوعها، والفَرّاد صانِعُها. وذهبٌ مُفرّدٌ: مُفصّلٌ بالفريدِ. وقال إبراهيم الحربيّ: الفريد جمع الفريدةِ، وهي الشّذَرُ من فِضّةٍ كاللؤلؤةِ. وفرائدُ الدُّرّ:

كِبَارُها)[28] ومن المعاني اللغوية التي اوردناها للفرائد يتضح لنا أن الفرائد تطلق على الشيء النفيس الذي لا نظير له، سواء أكان مادياً كالذهب والجواهر والدر، أو معنويا كالكلام الحسن المُفصّل. وهذا المعنى اللغوي لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما ورد في كتب البلاغة والأدب.

وعندما تبحث عن لفظة (الفرائد) في كتب التراث العربي، نجد أن أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الأصبع المصري (ت 654هـ) في كتابه (تحرير التحبير) حيث عقد مبحثاً بعنوان (باب الفَرائد) قال في مدخله: (هذا باب مختصٌّ بالفصاحة دون البلاغة، لأن مفهومه إتيان المتكلم بلفظة تتنزّل من كلامه منزلة الفريدة من حب العِقْد، تدل على عظم فصاحته وقوّة عارضته، وشدة عربيّته حتى إنّ هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غَرامتها[29]، وهي كقول أبي نواس:

وكأنّ سُعدَى إذْ تُودّعُنا   وقد اشْرأَبَّ الدَّمعُ أَنْ يَكِفَا

ويقول ابن أبي الإصبع: (فلفظة (اشْرَأبّ) من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور)[30]. ثم أورد مجموعة من الفرائد من شعر أبي تمام والبحتري والقرآن الكريم والسنة النبوية، ونجده يُعقّب على تلك الفرائد بقوله: (فاستعارة الغليان لماء الشباب من الفرائد البديعة)، (فلفظة مأدوم من الفرائد التي لا يُقْدَر على نظيرها، ولا يُعثّرُ على شبيهها)، (فأبّهة من الفرائد الغربية في مكانها التي يعجز الفصحاء عن الإتيان بها)، وقال معلقاً على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ يوسف [80] فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر، وأشباه ذلك في الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر)[31]، كما أورد ابن أبي الإصبع مثالا للفرائد من السنة النبوية، إذ يقول: (وقد ورد في السنة النبوية –على صاحبها الصلاة والسلام– مواضع شريفة منها قوله عليه السلام: (استذكروا القرآن فإنّه أشد تفصّياً من صدور الرّجال من النَّعم من عُقُلها)[32].

ولا يخفى علينا من خلال ما قدمنا أن ابن أبي الإصبع المصري أطلق مصطلح الفرائد على كل الألفاظ البديعة التي وردت في الشعر والقرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يقصر الفرائد على ألفاظ القرآن الكريم. ولا يفوتنا أن نشير إلى تأثره في عرضه للفرائد بنظرية النظم لعبدالقاهر الجرجاني، خاصة عندما يعلق على الفريدة اللغوية من خلال

سياقها، إذ يرى أن الكلمة الواحدة لا مزية لها، ثم ينظر إليها وهي في نظم الكلام، فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حداً كبيراً، وكذلك نلاحظ أن تعليقات ابن أبي الأصبع على الفرائد اللغوية في الشعر العربي والقرآن الكريم والحديث النبوي بها كثير من الاحتكام إلى الذوق الشخصي دون توضيح وتفصيل لأسباب الجمال الفني في تلك الفرائد.

ثم تبعه صفي الدين الحلي (ت 750هـ) وأثبت مبحثاً باسم الفرائد في كتابه (شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع)، وعرّف الفرائد بقوله: (وهو نوعُ مختصٌّ بالفصاحة دون البلاغة، لأن مفهومَهُ الإتيان بلفظة فصيحةٍ من كلام العرب العَرْباءِ تتنزّل من الكلام منزلة الفريدة من العِقدِ تدلُّ على فصاحة المتكلّم وقوة عارضته، حتى إن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسدَّ غيرُها مسدَّها)[33].

وكذلك عقد ابن حجة الحموي (ت 837هـ) مبحثاً بعنوان (الفرائد) في كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب)، حيث عرّف الفرائد بقوله: (الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأن المراد منه أن يأتي الناظم، أو الناثر، بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء، تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها، بحيث إن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ فقوله تعالى (الرّفث) فريدة لا يقوم غيرها مقامها، وكقوله تعالى: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ فقوله سبحانه وتعالى: (أهش بها على غنمي)، فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها)[34].

وعقد السيوطي (ت 911هـ) في كتابه (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان)، فصلاً بعنوان (الفرائد والتنكيت)، نسبهما لنفسه، ولم يذكر جهود السابقين، مثل ابن أبي الإصبع وصفي الدين الحلي، ابتدأ الفصل بقوله:

وإنْ يجئْ لفظٌ فصيحٌ واردُ   ما غيرُهُ يَسُدُّ فالفرائدُ
وإنْ يجئْ وغيرُهُ سدّ ولَهْ   تخصُّصٌ تنكيتُهم فاسْتعملهْ

ثم قال: (هذان النوعان من زياداتي، وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد

أن يأتي بلفظة فصيحة تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث لو سقطت لم يسد غيرها مسدّها)[35]، ثم سرد الأمثلة التي ذكرها السابقون، واستشهد بألفاظ (الرّفث) و(أهشّ) و(أنعم صباحاً). أمّا أن ينسب السيوطي الفرائد إلى نفسه، فذلك ليس غريباً في كتاب (شرح الجمان) فنجده يكرر كثيراً في الكتاب عبارات[36]: "وهو من زيادتي"، و"هذا نوع ثالث اخترعته"، و"هذا النوع من مخترعاتي"، و"هذا نوع لطيف اخترعته"، "هو من زياداتي"، و"أيضا من مخترعاتي".

يتضح من خلال العرض السابق أن كتب (غريب القرآن) قد تناولت الألفاظ الغربية في القرآن الكريم ولم تتناول لفظة أخرى من خارج سور القرآن الكريم، أما مصطلح الفرائد فقد ضم كل الألفاظ التي رأى العلماء الأوائل أنها من الفرائد، سواء أكانت من القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الشعر، إلا أن المتأخرين قد وضعوا تعريفاً حديثا اقتصر على ألفاظ معينة من القرآن الكريم، يقول الدكتور عبد الله عبد الغني سرحان: (هي الألفاظ الفرائد التي ذُكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها، وكان بوسع القرآن الكريم أن يستعيض عن هذه الألفاظ أو تلك الفرائد، بألفاظ أخرى تحتوي على معناها وتشتمل على فحواها، لكنه لمّا آثر التعبير بتلك الفرائد دون ما يقاربها كان وراء الإيثار سر من الأسرار)[37]. ولعل التعريف الحديث لمصطلح الفرائد وتخصيصها بـ (الفرائد القرآنية)، هو ما جعلنا نتسع في هذا المبحث لنثبت أن مصطلح (الفرائد القرآنية) أصبح مرادفاً لمصطلح (غريب القرآن) لأنه يُركّز على دراسة ألفاظ القرآن الكريم دون سواها.

المبحث الثاني

أصل لفظة (ضِيزَى) ودلالتها

نود في هذا المبحث الثاني أن نتعرف على أصل لفظة (ضِيزَى) في اللغة العربية ودلالتها، وذلك في كتب غريب القرآن ومصنفات التفسير وآراء العلماء، وسيكون تتبعنا لأصلها اللغوي من خلال ترتيب آراء العلماء، لنعلم تأثير السابقين في اللاحقين، كما ستركز الدراسة على أصل الكلمة في اللغة من حيث الاشتقاق، ودلالتها من حيث

المعاني التي ذكرها العلماء في مصنفاتهم، والتغييرات التي حدثت في جذر اللفظة حتى أصبحت (ضِيزَى) التي نَقرأها في القرآن الكريم، وكذلك قراءة لفظة ضيزى في بعض القراءات القرآنية، وغيرها من القضايا التي تعن لنا أثناء الدراسة، وقبل إيراد أقوال العلماء، أود أن أضع تمهيداً من خلال هذه المعلومات، فدراسة لفظة (ضِيزَى) في القرآن الكريم من مظاهر دراسة الإعجاز البياني البلاغي في القرآن الكريم، خاصة وأن دراسة بلاغة القرآن الكريم تتعلق بدراسة أصواته من حيث الجرس والإيقاع، ودراسة مفرداته من حيث الصياغة والاشتقاق، ودراسة فواصله من حيث المواءمة والاتساق، والإشارة إلى بعض الفنون البديعية أثناء دراسة الألفاظ، ودراسة تراكيب القرآن من حيث النظم والتأليف والتناسق.

وردت لفظة (ضيزى) في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ ﴾ النجم [19-22] قال أبو زكريا الفراء (ت207هـ): "كَانَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ يَلُتُّ السَّوِيقَ ويبيعه لهم عند اللّات وهو الصّنم، فسميّت بِذَلِكَ الرَّجُلَ، وَكَانَ صَنَمًا لِثَقِيفٍ، وَكَانَتِ الْعُزَّى سمرَةً لِغَطَفَانَ يَعْبُدُونَهَا، وَمَنَاة الثَّالِثَةَ الْأُخْرى كانت مناة صخرة لهذيل، وخزاعة يعبدونها"[38]. وأضاف ابن جرير الطبري (ت310هـ): "اللات، هي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة، وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى، وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فقال جلّ ثناؤه لهم : أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بنات الله (أَلَكُمُ الذَّكَرُ) يقول: أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون (لَهُ الأنْثَى) التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ"[39]. فقد ادعت العرب أن الملائكة إناث، وأنها بنات الله ناسبة البنوة لله تبارك وتعالى، كما افترى اليهود قبل ذلك وقالوا عزير ابن الله، وافترى النصارى وقالوا المسيح ابن الله، فسارت العرب في ركابهم وافترت هذا الافتراء الخطير العظيم، وقالت الملائكة إناث، وهن بنات الله. فجاءت في آخر السياق القرآني لفظة (ضيزى) تلك اللفظة الغريبة في سياقها وجرسها واشتقاقها، فقد جاءت لفظة (ضيزى) صفة لمؤنث وهي على (فِعْلَى) ولم يتعود العرب قبل ذلك بأن

يأتوا بالصفة على وزن (فِعْلَى)، إنما الصفة التي تأتي على وزن (فِعْلَى) تكون على وزن (فُعْلَى)، وربما هذه أول مرة يسمعونها، وتؤدي الغرض اللغوي والبلاغي والإعجازي، فلذلك كانت دهشتهم الأولى أن كانت اللفظة مخالفة لعرفهم اللغوي.

دلالة لفظة ضيزى:

لقد اعتمدتُ في هذا الفصل على أكثر من أربعين مصدراً، سأختار منها بإيجاز ما يناسب هدف الدراسة وقيمتها العلمية، حتى لا تزدحم المصادر في ثنايا الدراسة والتحليل فتشغل ذهن القارئ عن الفائدة العلمية المنشودة. لقد أجمع العلماء في مصنفاتهم العلمية أن كلمة (ضيزى) من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، وأن هذه اللفظة الغريبة تكشف بجرسها الغريب دواخل المشركين وتعبر عن مشاعرهم الملتوية وانفعالاتهم المنحرفة، وقد استوعبت اللفظة واستغرقت كل المعاني التي أشار إليها العلماء في مصنفاتهم، فأودّ أولاً أن أجمع وأحصر بعض المعاني التي وردت في مصنفات السابقين، ثم نوثق آراء العلماء في بعضها، فالقسمة الضيزى كما ورد في أقوال المفسرين: هي الظالمة، والجائرة، والناقصة، والمائلة، والمنحرفة، وقسمة ضيزى: (جائرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق)، وقسمة ضيزى: (عوجاء غير مستوية، وناقصة غير تامة)، والقسمة الضيزى: (القسمة التي قسمتم بها من نسبة البنات إلى الله تعالى، وإثاركم أنفسكم البنين، قسمة غير عادلة)، (والعرب تقول: ضزته حقه أضيزه، بمعنى منعتُه حقّه وظلمتُه فيه)، وقسمة ضيزى: (جائرة عن العدل، خارجة عن الصّواب، مائلة عن الحق)، و(القسمة الضيزى في كلام العرب الناقصة الجائرة)، وقسمة ضيزى: (جائرة حيث جعلتم لله ما تستنكفون عنه، وهي فِعْلى من الضّيز وهو الجور)، والقسمة الضيزى: (الجائرة من ضازَهُ يَضِيزُهُ إذا ضامه)، وقسمة ضيزى: (تلك إشارة إلى محذوف، تقديره تلك القسمة قسمة غير عادلة)، وقسمة ضيزى: (تلك القسمة عرجاء غير معتدلة، حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهية له على دفنه حيّاً) وقسمة ضيزى: (تلك قسمة ظالمة جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً). قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ) : ("قِسْمَةٌ ضِيزى" ناقصة، وضزته حقه تضيزه وتضوزه تنقصه وتمنعه، وربما همزها قوم فقال أضأزته وأنا أضأزه وهى من ضيزى)[40]. وذكر أبو محمد مسلم بن قتيبة (ت276هـ): ("تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" أي جائرةٌ. يُقال: ضِزت في الحكم؛ أي جُرْت، و"ضِيزَى": فُعلى؛ فكسرت الضاد للياء. وليس

في النعوت "فِعْلَى")[41]. وأضاف ابن جرير الطبري (ت310هـ): (قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه)[42]. وذكر أبو منصور الماتريدي (ت333هـ): (تلك قسمة جور وظلم؛ أي: صرف شكر المنعم إلى غير المنعم، وتوجيه العبادة إلى من لا يستحقها)[43]. وقال أبو منصور محمد الأزهري الهروي (ت370هـ): (المعنى في: ضِيزَى وضِئْزَى واحد، يقال: ضَازَهُ يَضِيزُه، إذا نقصه حقه، ويقال أيضًا: ضَأزه يَضْأزه – بالهمز: بمعنى واحد و"ضِيزَى" بغير همزٍ، في الأصل: ضُيْزى بضم الضاد على (فُعْلَى) فثقلت الضمة مع الياء، فكسرت الضاد؛ لأن الياء أخْت الكسرة، كما قالوا: أبْيَض وبِيض، وأصله: بُيْض. على (فُعْلى)، كما يقال: حُمْر وسُودٌ، وإنما قلنا هذا لأنه ليس في كلامِ العرب صفة على (فِعْلَى)، إنما الصفات تجيء على (فَعْلَى) نحو: سَكْري، وغضبى، وعلى (فُعْلَى) نحو: حُبْلَي، وفُضْلى، وقيل في تفسير "ضِيزَى": إنها بمعنى: جائرة)[44]. وفصّل أبو الحسن الماوردي (ت450هـ) في إيراد معاني لفظة ضيزى، إذ يقول: "تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى" فيه أربعة أقاويل: أحدها: قسمة عوجاء قاله مجاهد، والثاني: قسمة جائرة قاله قتادة، والثالث: قسمة منقوصة قاله سفيان، وأكثر أهل اللغة، قال الشاعر:

فإن تنأى عنا ننتقصك وإن تقم فقسمك مضؤوز وأنفك راغم

ومعنى مضؤوز أي منقوص، والرابع: قسمة مخالفة)[45]. وأشار محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) إلى دلالة الاستفهام في الآيات القرآنية، إذ يقول: "وَجُمْلَةُ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى تَعْلِيلٌ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّهَكُّمِ الْمُفَادُ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ فِي أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى، أَيْ قَدْ جُرْتُمْ فِي الْقِسْمَةِ وَمَا عَدَلْتُمْ فَأَنْتُمْ أَحِقَّاءُ بِالْإِنْكَارِ. وَالْإِشَارَةُ بِ تِلْكَ إِلَى الْمَذْكُورِ بِاعْتِبَارِ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِلَفْظِ قِسْمَةٌ فَإِنَّهُ مؤنث اللَّفْظ. وإِذاً حَرْفُ جَوَابٍ أُرِيدَ بِهِ جَوَابُ الِاسْتِفْهَامِ الإنكاري، أَي ترَتّب عَلَى مَا زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ قِسْمَةٌ ضِيزَى، أَيْ قَسَمْتُمْ قِسْمَةً جَائِرَةً"[46].

أصل لفظة ضيزى:

ذكر علماء اللغة أن أصل لفظة ضِيزَى ضُوزى، وحجتهم في ذلك أنها نُقِلت من ضُوزى على وزن فُعْلى إلى ضِيزى على وزن فِعلى، لتسلم الياء، وقد وردت للفظة

ضِيزى عدة صيغ لغوية، يقولون: ضِيزى، وَضُوزى، وضؤزى، وضأزى، ولا يجوز في القرآن إلا ضِيزى، وعندما تحدث أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) عن هذه اللفظة ذكر طريقة قراءتها في القرآن، كما أشار إلى صيغها في اللغة، والتغيير الذي حدث في بنيتها بعد كسر أولها، فقال: (والقراء جميعًا لم يَهمِزُوا ضِيزي، ومنَ العَرب من يَقُولُ: قِسْمَة ضَيْزَى، وبعضُهم يَقُولُ: قِسْمة ضَأزَى، وضُؤزَى بالهَمْز، ولم يقرأ بها أحدٌ نَعْلَمهُ، وَضِيزَى: فُعْلَى. وإن رأيتَ أولها مَكْسُورًا هِيَ مثل قولهم: بيضٌ، وعِينٌ، كَانَ أولُها مَضْمُومًا فَكَرِهُوا أن يُترِكَ عَلَى ضَمَّتِه، فيقالُ: بُوضٌ، وعُونٌ. والواحِدةُ: بَيضاء، وعَيناء: فَكَسرُوا أولَها ليكُون بالياء ويتألف الْجَمْعُ والاثنان والواحدَة، كذلك كرهُوا أن يَقولوا: ضُوزَى، فتصيرُ وَاوًا، وهي من الياء، وإنّما قضيتُ عَلَى أوّلها بالضّم لأنّ النّعوت للمؤنّث تأتى إمّا: بَفتْح وإمّا بِضَمٍّ: فالمفتُوح سَكْرى وعَطْشى، والمضمومُ: الأُنثى والحُبْلى، فإذا كانَ اسمًا ليس بنعتٍ، كُسِرَ أوله كقوله: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى)، الذِّكرى اسم لِذلكَ كسرتْ، وليَستْ بنَعْتٍ، وكذلِكَ "الشِّعْرَى" كُسرَ أولها لأنها اسمٌ ليست بنعتٍ. وحَكَى الكِسائِي عنْ عِيسَى: ضِيزَى)[47]. وأما أبو جعفر الطبري (ت 310هـ) فلم يضف كثيرا لما ذكره الفراء، إذ يقول: (ومن العرب من يقول: ضَيْزى بفتح الضاد وترك الهمز فيها: ومنهم من يقول: ضأزى بالفتح والهمز، وضُؤزى بالضم والهمز، ولم يقرأ أحد بشيء من هذه اللغات. وأما الضيِّزى بالكسر فإنها فُعلى بضم الفاء، وإنما كُسرت الضاد منها كما كسرت من قولهم: قوم بيض وعين، وهي "فُعْل" لأن واحدها: بيضاء وعيناء ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد، وكذلك كرهوا ضمّ الضاد من ضِيزَى، فتقول: ضُوزَى، مخافة أن تصير بالواو وهي من الياء.)[48]. وأضاف أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت377هـ): قراءة ابن كثير وفصّل في الحديث عن أصلها وكسر فائها، ثم أضاف بعض القضايا، إذ يقول: (وقرأ ابن كثير: ضئزى، وقرأ الباقون ضيزى بغير همز، وأمّا قولهم: قسمة ضيزى، فإن النحويين يحملونه على أنّه في الأصل، فعلى، وإن كان اللّفظ على فعلى كما أن البيوت والعصيّ في الأصل فعول، وإن كانت الفاء مكسورة، وإنّما حملوها على أنّها فعلى دون ما عليه اللّفظ، لأنّهم لم يجدوا في الصّفات شيئا على فعلى، كما وجدوا الفُعلى نحو: الحبلى، والفَعلى نحو: السّكرى، فلمّا لم يجدوا ذلك حكموا عليه بأنّ الفاء في الأصل مضمومة. فإن قلت: فكيف قال: إنّ فِعلى لا

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

تكون في أبنية الصفات، وقد حكى أحمد بن يحيى: رجل كِيصى: إذا كان يأكل وحده، وقد كاص طعامه، إذا أكله وحده؟ قيل: إنّ سيبويه إنّما قال: لم يحك فُعلى صفة، والذي حكاه أحمد بن يحيى بالتنوين، فليس هو ما قاله سيبويه، ولا يمتنع أن تجيء الألف آخرا للإلحاق، وأمّا قول ابن كثير: ضئزى بالهمز فإنّ التوزيّ قد حكى الهمز في هذه الكلمة فقال: ضأزه يضأزه: إذا ظلمه، ولا ينبغي أن يكون ابن كثير أراد بضيزى فُعلى، لأنّه لو أراد ذلك لكان ضوزى، ولم يرد به أيضا فُعلى صفة لأنّ هذا البناء لم يجيء صفة، ولكن ينبغي أن يكون أراد به المصدر مثل الذكرى، فكأنّه قال: قسمة ذات ظلم، فعلى هذا يكون وجه قراءته)[49]. ونقل أبو الحسن محمد علي بن أحمد الواحدي (468) آراء الفراء والزجاج، في قوله: (قال الفراء، والزجاج: ضيزى فُعلى، فنقلت إلى فِعلى لتسلم الياء، كما قالوا: بيض وعين فكسروا أولهما لتكونا بالياء، كذلك كرهوا أن يقولوا: ضوزى، فتصير بالواو وهي من الياء)[50]. وأورد أبو المظفر منصور السمعاني (ت489) أقوال أهل اللغة: (وَقد حكى أهل اللُّغَة هَذِه الْكَلِمَة عَن الْعَرَب على أَرْبَعَة أوجه: ضيزى، وضوزى بِغَيْر همزَة، وضأزى، وضازي بِغَيْر همزَة، وَهَذِه اللُّغَات وَرَاء مَا ورد بِهِ التَّنْزِيل)[51]. وأشار أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (510هـ) إلى طرف من القراءات، إذ يقول: (قرأ ابن كثير: ضِيزى بِالْهَمْزِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِغَيْرِ هَمْزٍ. وقَالَ الْكِسَائِيُّ: يُقَالُ مِنْهُ ضَازَ يَضِيزُ ضَيْزًا، وَضَازَ يَضُوزُ ضَوْزًا وَضَازَ يُضَازُ ضَازًا إِذَا ظَلَمَ ونقص، وتقدير ضيزى من الكلام فُعْلَى بِضَمِّ الْفَاءِ، لِأَنَّهَا صِفَةٌ وَالصِّفَاتُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَلَى فُعْلَى بِضَمِّ الْفَاءِ، نَحْوَ حُبْلَى وَأُنْثَى وَبُشْرَى، أَوْ فَعْلَى بِفَتْحِ الْفَاءِ، نَحْوَ غَضْبَى وَسَكْرَى وَعَطْشَى، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِعْلَى بِكَسْرِ الْفَاءِ فِي النُّعُوتِ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَسْمَاءِ مِثْلُ ذِكْرَى وشِعرى وكِسرى، وكسر الضاد هَاهُنَا لِئَلَّا تَنْقَلِبَ الْيَاءُ وَاوًا وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ، كَمَا قَالُوا فِي جَمْعِ أَبْيَضَ بِيضٌ، والأصل بُوض مثل حُمر وَصُفْرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: ضَازَ يَضُوزُ فَالِاسْمُ مِنْهُ ضُوزَى مِثْلَ شُورَى)[52]. وكذلك ذكر أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت542هـ) أصل لفظة ضيزى، ولم يزد على ما قاله السابقون: (وأصلها فُعلى بضم الفاء ضوزى لأنه القياس، إذ لا يوجد في الصفات فِعلى بكسر الفاء، كذا قال سيبويه وغيره، فإذا كان هذا فهي ضُوزى: كُسر أولها كما كُسر أول عين وبيض طلبا للتخفيف، إذ الكسرة والياء أخف من الضمة والواو، كما قالوا بيوت وعِصى

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

هي في الأصل فُعول بضم الفاء، وتقول العرب: ضزته أضوزه فكان يلزم على هذا التصريف أن يكون ضوزى فُعلى، وفي جميع هذا نظر. وقرأ ابن كثير (ضئيزى) بالهمز على أنه مصدر كذكرى، وقرأ الجمهور بغير همز)[53]. وأشار جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت597هـ) إلى بعض القراءات التي وردت في لفظة "ضِيزى"، حيث يقول: (قرأ عاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي "ضِيزى" بكسر الضاد من غير همز، ووافقهم ابن كثير في كسر الضاد لكنه همز. وقرأ أُبيُّ بن كعب ومعاذ القارئ "ضَيْزى" بفتح الضاد من غير همز. وقال الزجاج: الضِّيزى في كلام العرب: الناقصةُ الجائرة، يقال: ضازه يَضِيزُه: إذا نقصه حَقَّه، ويقال: ضَأَزَه يَضْأَزُه بالهمز. وقرأتُ على بعض علماء اللُّغة في "ضيزى" لغات، يقال: ضِيزَى وضُوزَى وضُؤْزَى وضأزى على "فَعلى" مفتوحة ولا يجوز في القرآن إلاّ "ضِيزى" بياءٍ غير مهموزة، وإنما لم يقُل النحويُّون: إنها على أصلها، لأنهم لا يعرفون في الكلام "فِعْلى" صفة، إنما يعرفون الصِّفات على "فَعْلَى" بالفتح، نحو سَكْرَى وغَضْبى، أو بالضم نحو حُبْلى وفُضْلى)[54]. وأضاف أبو عبد الله الفخر الرازي (ت606هـ) قوله: (ضِيزى قُرِئَ بِالْهَمْزَةِ وَبِغَيْرِ هَمْزَةٍ، وَعَلَى الْأُولَى هِيَ فِعْلَى بِكَسْرِ الْفَاءِ كَذِكْرَى، عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، كَرَجُلٍ عَدْلٍ، أَيْ قِسْمَةٌ ضَائِزَةٌ وَعَلَى الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ فُعْلَى، وَكَانَ أَصْلُهَا ضُوزَى، لَكِنَّ عَيْنَ الْكَلِمَةِ كَانَتْ يَائِيَّةً فَكُسِرَتِ الْفَاءُ لِتَسْلَمَ الْعَيْنُ عَنِ الْقَلْبِ كَذَلِكَ فُعِلَ بِبِيضٍ فَإِنَّ جَمْعَ أَفْعَلَ فُعْلٌ تَقُولُ أَسْوَدُ وَسُودٌ وَأَحْمَرُ وَحُمْرٌ، وَعَلَى هَذَا ضِيزَى لِلْمُبَالَغَةِ مِنْ ضَائِزَةٍ، تَقُولُ فَاضِلٌ وَأَفْضَلُ وَفَاضِلَةٌ وَفُضْلَى، وَكَبِيرٌ وَأَكْبَرُ وَكَبِيرَى وَكُبْرَى، كَذَلِكَ ضَائِزٌ وَضُوزٌ وَضَائِزَةٌ وَضُوزَى، عَلَى هَذَا نَقُولُ أَضْوَزُ مِنْ ضَائِزٍ وَضِيزَى مِنْ ضَائِزَةٍ)[55]. وقال أبو عبد الله القرطبي (ت671هـ) عن أصل لفظة "ضيزى" مستشهدا بآراء علماء اللغة: (وَهِيَ فُعْلَى، مِثْلُ طُوبَى وَحُبْلَى، وَإِنَّمَا كَسَرُوا الضَّادَ لِتَسْلَمَ الْيَاءُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فِعْلَى صِفَةً، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بِنَاءِ الْأَسْمَاءِ كَالشِّعْرَى وَالدِّفْلَى. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَبَعْضُ الْعَرَبِ تَقُولُ ضُوزَى وضيزى بِالْهَمْزِ. وَحَكَى أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَهْمِزُ "ضِيزى". قَالَ غَيْرُهُ: وَبِهَا قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، جَعَلَهُ مَصْدَرًا مِثْلَ ذِكْرَى وَلَيْسَ بِصِفَةٍ، إِذْ لَيْسَ فِي الصِّفَاتِ فِعْلَى، وَلَا يَكُونُ أَصْلُهَا فُعْلَى، إِذْ لَيْسَ فِيهَا مَا يُوجِبُ الْقَلْبَ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِمْ ضَأَزْتُهُ أَيْ ظَلَمْتُهُ، فَالْمَعْنَى قِسْمَةٌ ذَاتُ ظُلْمٍ. وَقَدْ قِيلَ هُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنًى.

وَحُكِيَ فِيهَا أَيْضًا سِوَاهُمَا ضَيْزَى وَضَأْزَى وَضُوزَى وَضُؤْزَى. وَقَالَ الْمُؤَرِّجُ: كَرِهُوا ضَمَّ الضَّادِ فِي ضِيزَى، وَخَافُوا انْقِلَابَ الْيَاءِ وَاوًا وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ الْوَاوُ، فَكَسَرُوا الضَّادَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، كَمَا قَالُوا فِي جَمْعِ أَبْيَضَ بِيضٌ وَالْأَصْلُ بُوضٌ، مِثْلُ حُمْرٍ وَصُفْرٍ وَخُضْرٍ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: ضَازَ يَضُوزُ فالاسم منه ضوزى مثل شورى)[56]. وفصّل أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ) تفصيلاً واسعا في هذا الباب إذ يقول في قراءة لفظة "ضيزى" وأصلها اللغوي: (قرأ ابنُ كثير "ضِئْزَى" بهمزةٍ ساكنةٍ، والباقون بياءٍ مكانَها. فأمَّا قراءةُ العامَّةِ فيُحْتمل أَنْ تكونَ مِنْ ضازه يَضَيزه إذا ضامه وجارَ عليه. وعلى هذا فتحتملُ وجهين، أحدُهما: أَنْ تكونَ صفةً على فُعْلى بضم الفاءِ، وإنما كُسِرت الفاءُ لتصِحَّ الياءُ كبِيْض. فإنْ قيل: وأيُّ فالجوابُ أن سيبويه حكى أنه لم يَرِدْ في الصفاتِ فِعْلَى بكسر الفاء إنما وَرَدَ بضمِّها نحو: حُبْلى وأُنْثى ورُبَّى وما أشبهه. إلاَّ أنه قد حَكى غيرُه في الصفات ذلك، حكى ثعلب: مِشْية حِيْكى ورجلٌ كِيْصَى. وحكى غيرُه: أمرأةٌ عِزْهى، وامرأة سِعْلى، وهذا لا يُنْقَضُ لأن سيبويه يقول: حِيْكى وكِيْصى كقولِه في "ضيزَى" لتَصِحَّ الياءُ، وأما عِزْهَى وسِعْلى فالمشهورُ فيهما: سِعْلاة وعِزْهاة. والوجه الثاني: أَنْ تكونَ مصدراً كذِكْرى)[57]. واستشهد أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الأنجري (ت1224هـ) ببعض المصنفات المتأخرة وذكر رأي ابن هشام: (وصرّح في القاموس بأنه مثلث الضاد ضِيزى وضُوزى وضَازى، وهو هنا فُعلى بالضم، من الضيز، لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء، كما فعل في "بيض"، فإن "فِعلى" بالكسر لم تأت وصفاً، وإنما هي من بناء الأسماء، كالشّعرى والدفلى. وقال ابن هشام: فإن كانت فُعلى صفة محضة وجب قلب الضمة كسرة، ولم يُسمع من ذلك إلا "قسمة ضيزى" و"مشية حِيكى"، أي: يتحرك فيها المنكبان)[58]. أما محمد طاهر بن عاشور (ت1393هـ) فقد تحدث عن أصل لفظة ضيزى وما حدث فيها تغيير واستشهد بآراء العلماء السابقين: (وَأَصْلُ عَيْنِ ضَازَ هَمْزَةٌ، يُقَالُ: ضَأَزَهُ حَقَّهُ كَمَنَعَهُ ثُمَّ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ فَقَالُوا: ضَازَهُ بِالْأَلِفِ. وَيَجُوزُ فِي مُضَارِعِهِ أَنْ يَكُونَ يَائِيَّ الْعَيْنِ أَوْ وَاوِيَّهَا قَالَ الْكِسَائِيُّ: يَجُوزُ ضَازَ يَضِيزُ، وَضَازَ يَضُوزُ. وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّ لَكَ الْخِيَارَ فِي الْمَهْمُوزِ الْعَيْنِ إِذَا خُفِّفَ أَنْ تُلْحِقَهُ بِالْوَاوِ أَوِ الْيَاءِ، لَكِنَّ الْأَكْثَرَ فِي كَلَامِهِمُ اعْتِبَارُ الْعَيْنِ يَاءً فَقَالُوا: ضَازَهُ حَقَّهُ ضَيْزًا وَلَمْ يَقُولُوا ضَوْزًا لِأَنَّ الضَّوْزَ لَوْكُ التَّمْرِ فِي الْفَمِ، فَأَرَادُوا التَّفْرِقَةَ بَيْنَ

الْمَصْدَرَيْنِ، وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الِاسْتِعْمَالِ وَعَنِ الْمُؤَرِّجِ السَّدُوسِيِّ كَرِهُوا ضَمَّ الضَّادِ فِي ضُوزَى فَقَالُوا: ضِيزَى. كَأَنَّهُ يُرِيدُ اسْتَثْقَلُوا ضَمَّ الضَّادِ، أَيْ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ مَعَ أَنَّ لَهُمْ مَنْدُوحَةً عَنْهُ بِالزِّنَةِ الْأُخْرَى. وَوَزْنُ ضِيزَى: فعلى اسْم تَفْضِيل (مِثْلَ كُبْرَى وَطُوبَى) أَيْ شَدِيدَةُ الضَّيْزِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْيَاءُ السَّاكِنَةُ بَعْدَ الضَّمَّةِ حَرَّكُوهُ بِالْكَسْرِ مُحَافَظَةً عَلَى الْيَاءِ لِئَلَّا يَقْلِبُوهَا وَاوًا فَتَصِيرَ ضُوزَى وَهُوَ مَا كَرِهُوهُ كَمَا قَالَ الْمُؤَرِّجُ).[59].

ونقف هنا كذلك عند إشارة لطيفة متعلقة ببناء لفظة (ضيزى)، لماذا تقلب العربً الحركات في لغتها، ولا تقلبُ الحروف؟ أشار إليها نظام الدين الحسن النيسابوري (ت850هـ) عندما تحدث عن أصل لفظة (ضيزى) والتغيير الذي حدث في بنيتها اللغوية: (وهي "فُعْلَى" بالضم، وكان يمكن أن تُقلب الياء واواً لتسلم الضمة، إلا أنه فعل بالعكس أي قُلبت الضمة كسرةً لتسلم الياء، فإن إبقاء الحرف أولى من إبقاء الحركة)[60]. كما أن اختلاف علماء اللغة حول أصل لفظة (ضيزى) وجرسها الإيقاعي يدل على غرابتها وإعجازها واحتمالها لكل تلك الآراء التي ذكرت، ولعلنا نختصر تلك الآراء ونُجملها في النقاط التالية، أورد شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت 1069هـ) في حاشيته: (قيل: جاءت مهموزة من ضأز. وقيل: ياؤها أصلية. وقيل: ياؤها مبدلة من واو. وقيل: وزنها فُعلى كُسرت الفاء لتسلم الياء. وقيل: مصدر كذِكرى وُصف به مبالغةً. وقيل: صفة وردت في ألفاظٍ أربعة حِيكى، وعزهى، وسِعلى، وكِيصى. وقيل اسم جامد كدِفْلى، وشِعرى. وقيل وردت جمعاً كحجلى. وقيل مصدر مضموم عومل معاملة المعتل لأنه يؤول إليه)[61].

المبحث الثالث

الدّراسة البلاغيّة الفنيّة

يجمع المؤرخون في القديم والحديث على أن العرب لهم قدم راسخة في البيان، وحظ وافرٌ في تذوق القول، والتمييز بين جيده ورديئه، وكان قولهم يسبق خاطرهم، وتشبّعت نفوسهم بجمال اللمح وقوة اللحظ وسرعة الإدراك، أرهفوا جرس لفظهم، وموسيقى شعرهم، وبرع شعراؤهم الفطاحل، وخطباؤهم المصاقع في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، يقول

القاضي عياض: "خُصوا من البلاغة والحكم بما لم يُخص به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان، ما لم يؤت إنسانٌ، وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقةً، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات، وشديد الخَطْب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل سمط اللآلئ، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون بالإحن، ويهيجون الدمن، ويجرئون الجبان، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري، والمنزع القويم، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية"(62).

وكان رسول الله ﷺ يدرك أثر القرآن الكريم على الفطرة السليمة وامتزاجه بها من أول التقائه بها وطرقة لها. وقد عايش رسول الله ﷺ هذا الشعور والإحساس نفسه وهو في غار حراء عندما نزلت عليه أول سورة من القرآن الكريم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ العلق [1-5] لذلك واجه الرسول ﷺ من أول يوم نفوس القرشيين الجافة، ونفوس القبائل البدوية الصلدة التي تفد إلى مكة في المواسم، ببيان القرآن الفريد وأسلوبه البديع، بترتيل القرآن الكريم وتلاوته على أسماعهم، لإذكاء اليقظة في حسهم ومشاعرهم، ولبعث الحيوية في أرواحهم ونفوسهم الثقيلة المنجذبة إلى الأرض، ولاستثمار تلك الطاقات الثائرة في خير البشرية ونشر الدين وإشاعة قيم العدل والسلام في أنحاء الأرض. وكشف القرآن الكريم لنا ما أحدثه أسلوبه البليغ في نفوسهم المتحفزة من خوف وذعر حين نقل ذلك الاضطراب على ألسنتهم:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ فصلت [26].

لقد اشتمل القرآن الكريم على أنماط مختلفة من الإعجاز الفني والبلاغي تفرقت تلك الأنماط في ألفاظه وتراكيبه وأساليبه وإشاراته وتناسقه ونظمه وتجسيده وتشخيصه وجرسه وإيقاعه، وكانت العرب تشعر بكل ذلك عند سماعهم للقرآن الكريم، لكنهم لم يدركوا كنه

ذلك الجمال والكمال في أسلوب القرآن الكريم، فتارة يصفونه بالشعر وأخرى بالسحر، وقد أشار إلى طرف من هذا الإعجاز الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، حين قال: (الأصل في إعجاز القرآن حسن تأليفه، وانتظام كلماته، في سلك مبانيها المتناسبة لمقتضى معانيها، وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته في عجائب التراكيب وغرائب الأساليب، وبدائع العبارات وروائع الإشارات، وصورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب العرب في كلامهم، ومناهج نظمها ونثرها التي جاء القرآن عليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل تحيرت فيه عقولهم، واندهشت دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم، أو سجع أو رجز أو شعر)[63].

هنا يأتي هذا التساؤل المنطقي: لماذا استخدم السياق القرآني هذه اللفظة القرآنية (ضِيزَى) مع غرابتها دون غيرها من ألفاظ اللغة العربية المرادفة لها، والتي وردت في معاجم اللغة وكتب أهل التفسير؟ مع أن هذه اللفظة ليست متداولة في معجم حياتنا المعاصرة، وقد لا يفهمها كثير من الناس. فهناك أسباب جمالية وراء استخدام هذه اللفظة في هذا السياق القرآني، فقد وردت هذه اللفظة المعجزة الفصيحة الغريبة لاستنكار تلك القسمة الغريبة التي وردت في الآيات كما ذكرنا سابقاً، وكذلك لفظة (ضِيزَى) لها جرس صوتي وإيقاع موسيقي في السياق، يوحي بمعانٍ كثيرةٍ أكثر مما يشير إليه المعنى المعجمي المباشر للكلمة، ويشعّ ذلك الجرس والإيقاع دلالات واسعة تتسع معها دلالات السياق القرآني، ومثل هذا النوع من الألفاظ أشار إليه البلاغيون في باب (التنكيت)، والتنكيت فنّ بديعيّ يعتمد على استخدام الكلمات التي تحمل معان دقيقة تثير الذهن وتلفت الانتباه، ويُوظّف أسلوبُ التنكيت في القرآن الكريم لتوجيه نقد لاذع للأفكار الباطلة وتسليط الضوء على تناقضاتها. وقد عرّفه ابن أبي الإصبع بقوله: (وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسد مسده، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده، ولولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد)[64]. ويقول الأستاذ عبد الرحمن بن حسن حنبكة الدمشقي في توضيح معنى التنكيت: (هو أن يقصد المتكلّم إلى كلمة أو كلامٍ بالذكر دون غيره ممّا يسُدُّ مَسَدَّه، لأجل نُكْتَةٍ في المذكور تُرَجِّحُ مجيئه على

سواه)[65]. واستخدام لفظة (ضِيزَى) في الآيات القرآنية يعزز أسلوب التنكيت في هذا الموضع لأن لفظة ضِيزَى تحمل في تركيبها وصوتها دلالات قوية على الإنكار والاستهجان لقسمة المشركين، كما أن التركيب العام للآيات يعزز دلالة التنكيت، حيث يبدأ السياق في إثارة العقل للتفكير في الألوهية المزعومة للأصنام، والتناقض في قسمة الذكر والأنثى لينتهي بلفظة ضِيزَى التي تضع اللمسة النهائية لصورة السخرية والتوبيخ. وما يوحي بجماليات أسلوب التنكيت أن القرآن الكريم يعتمد على الدقة في اختيار الألفاظ في أسلوبه لضمان إيصال الرسالة بأبلغ صورة، وكذلك لفظة "ضِيزَى" ليست مجرد لفظة تستهجن القسمة، بل تحمل في نطقها تناغمًا صوتيًا يعزز وقعها في النفس.

وكذلك ذكر علماء البلاغة أن هذه الآيات بها سر لطيف من أسرار علم البديع وهو (الاحتباك)، والاحتباك فن عزيز من فنون البلاغة، بل هو من ألطف أنواع البديع، وأبدعها. وصفه السيوطي بقوله: "الِاحْتِبَاكُ مِنْ أَلْطَفِ الْأَنْوَاعِ وَأَبْدَعِهَا، وَقَلَّ مَنْ تَنَبَّهَ لَهُ أَوْ نَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ فن البلاغة، ولم أره فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ الْأَعمَى لِرَفِيقِهِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ ولم يُسمّه هذا الاسم بَلْ سَمَّاهُ الْحَذْفَ الْمُقَابِلِيَّ. وَأَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْبِقَاعِيُّ، وقَالَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي شَرْحِ الْبَدِيعِيَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ الِاحْتِبَاكُ، وَهُوَ نَوْعٌ عَزِيزٌ وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي، وَمِنَ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّل)[66] وقد أكثر منه برهان الدين البقاعي في تفسيرهِ النفيس نظم الدّرر، والاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، أن يُحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، قال برهان الدين البقاعي (ت885هـ) موضحا الاحتباك في الآيات السابقة: (ولما كان الاستفهام إنكارياً رد الإنكار بقوله فذلكة لفعلهم (تلك) أي هذه القسمة البعيدة عن الصواب (إذن) أي إذ جعلتم البنات له والبنين لكم (قسمة ضيزى) أي جائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حياً، وقد علم أن الآية من الاحتباك: دل ذكر اسمها في أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة وإنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته. ولما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا، حصر القول الحق فيها).[67]

وكذلك يتجلى لنا الإعجاز البلاغي في لفظة (ضيزى) بجانب غرابتها اللفظية، يتجلى في جرسها اللغوي الفريد الموحي، فمقاطعها الصوتية تجمع ما بين الفخامة والجزالة والرصانة والسلاسة والرونق والرقة، إذ تتألف من مقطعين صوتيين مختلفين في خصائصهما الصوتية، فالمقطع الأول (ضِيـ)، والثاني (زَى) ولكل مقطع سماته الصوتية المختلفة، فحرف (الضّاد) صوته مفخم دائماً ومغلق، ولما جاء بعده حرف مد زاد من فخامته من خلال التمديد والإطالة، ثم يأتي بعد ذلك مقطع مرقق يبدأ بحرف (الزّاي) ثم حرف المد الذي يطيل من جرسه وإيقاعه، وهذه الصورة لهذا اللفظ توضح أن جرس اللفظ يتكون من مقطعين مختلفين في الإيقاع، فالأول مفخم طويل، والثاني مرقق طويل، فالإيقاع الداخلي للكلمة يمكن أن ينقل المعنى بصورة أقوى مما تفعله اللفظة ذاتها، كما جاءت اللفظة (ضيزى) بهذه الغرابة لتعبر عن الاستياء من الظلم، ولتناسب تلك الفرية والقسمة الغريبة الجائرة التي أطلقوها وأشاعوها، لذلك كان اللفظ معنياً ومقصوداً في السياق ليؤدي غرضا بلاغياً يناسب معناه، وإذا أنعمنا النّظر مرة ثانية في الآيات السابقة من سورة النجم، نجد أن تلك اللفظة (ضِيزَى) التي جمعت بين صفات متضادة من الغرابة والجمال والرقة قد سبقها تمهيد يُوحي بها، حيث جاءت مسبوقة باستفهامين مجازيين يدلان على التعجب والإنكار، ثم جاء التنوين في لفظة (قسمةٌ) لتلوينها وإظهارها وتفخيمها، فالقرآن الكريم يمثل مثلاً رائعا على التناغم بين الجرس والإيقاع والدلالة. ويشير الأستاذ جلال الحنفي إلى إيحاء جرس الألفاظ بمعانيها، إذ يقول: (هناك أنواع من المفردات أتقن الواضع العربي أمرها كل إتقان، وأحكم تدبيرها كل إحكام، فجاءت مهندسة الشكل معينة على بلاغة الأساليب صريحة في دلالتها على عظمة هذه اللغة وعلى جلالة قدرها وارتفاع شأنها. وقد وضعت هذه المفردات لتدل دلالة مفاجئة على المعاني المقصودة، فمن ذلك لفظة (ضِيزَى) فإذا قرأ أحد قوله تعالى: "تلك إذن قسمة ضيزى" علم بالبداهة أن هذه اللفظة إنما تعني وصف القسمة بالجور والنقيصة، وإن كان لم يسبق إلى ذهنه شيء من تفسير معنى اللفظة، وذلك لأن النمط الذي نسجت عليه يدل دلالة واضحة على أن هذه اللفظة لا ترمي لغير معنى الجور والنقص. وكذلك الحال في معظم ألفاظ العربية، فإنها جاءت مقارنة لمعانيها فلم توضع في العربية لفظة خشنة لمعنى رقيق، ولا وضعت لفظة رقيقة لمعنى ثقيل؛ وأسباب ذلك أن

الواضع كان يتأثر نفسياً، فإذا كره شيئاً أو اشمأز منه سماه باسم فيه وعورة وخشونة، وإذا أحب شيئاً ورغب فيه سماه باسم فيه رقة وليونة)(68).

ولعل أكثر الباحثين الذين اهتموا بأعجاز القرآن الكريم من الناحية الصوتية، وفصل القول طويلاً في ألفاظ اللغة وتقسيماتها من ناحية حسنها وقبحها هو ضياء الدين بن الأثير، حتى اتخذ من الذوق مقياسا للحكم على ألفاظ اللغة، فعندما أراد أن يتحدث عن غرابة لفظة (ضِيزَى) وبلاغتها في القرآن الكريم، مهّد لذلك بحديث نافع مفيد عن الألفاظ في اللغة العربية من حيث الحسن والقبح، كما تحدث عن الوحشي منها، فقال: (وقد خفي الوحشي على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر، وظنُّوه المستقبح من الألفاظ وليس كذلك، بل الوحشي ينقسم قسمين: غريب حسن. والآخر: غريب قبيح. وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار، وليس بأنيس، وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال، وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحًا، بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنس، فتارة يكون حسنًا، وتارة يكون قبيحًا)(69). ثم ذكر أن الوحشي منه الغريب الحسن لأن لفظة (ضِيزَى) من هذا الضرب الذي يمتاز بالغرابة والحسن والابهار والقوة عندما استخدامها القرآن الكريم في سياقه البليغ، ولعل هذا الربط اللغوي البلاغي يؤكد لنا أن القرآن الكريم مصدرٌ أصيلٌ للإلهام البلاغي. ولم يكتف ابن الأثير في حديثه عن الألفاظ عند ذلك، بل صرح قائلاً: (فالقسمان الحسنان: أحدهما: ما تداول استعماله الأول والآخر، من الزمن القديم إلى زماننا هذا، ولا يطلق عليه أنه وحشيّ. والآخر: ما تداول استعماله الأول دون الآخر، ويختلف استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب؛ لأنه لم يكن عندهم وحشيًّا، وهو عندنا وحشيّ، وقد تضمَّن القرآن الكريم منه كلمات معدودة، وهي التي يُطلق عليها "غريب القرآن"، وكذلك تضمَّن الحديث النبويّ منه شيئًا، وهو الذي يُطلق عليه "غريب الحديث")(70).

ثم أتبَع ابن الأثير ذلك التمهيد بسرد تفاصيل مناظرة طويلة شيقة، حدثت بينه وبين أحد المتفلسفة حول بلاغة لفظة (ضِيزَى) في القرآن الكريم، وهذه عادة ابن الأثير في تصديه للمتفلسفة ودفاعه عن اللغة العربية والقرآن الكريم، كما تكشف المناظرة عن فهم ابن الأثير العميق لمعاني القرآن الكريم وعلمه الدقيق بجرس القرآن الكريم وإيقاعه

ISSN (Print) 3006 – 7561 ISSN (Online) 3006 – 757X

الموسيقى وما يحدثه في المستمع من تأثير نفسي، خاصة وأن لفظة (ضِيزَى) بإيقاعها الثقيل الشديد يوحي بنفرة النفس من تلك القسمة المائلة الجائرة، يقول ابن الأثير: (حضر عندي في بعض الأيام رجلٌ متفلسفٌ، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذتُ في وصفه، وذِكرِ ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال ذلك الرجل: وأيّ فصاحة هناك وهو يقول: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾النجم [22] فهل في لفظة "ضيزى" من الحسن ما يوصف؟ فقلت له: اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارًا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك، مثل: ابن سينا والفارابي، ولا من أضلَّهم مثل: أرسطاليس وأفلاطون، وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن، وهي لفظة "ضيزى" فإنّها لا يَسُدُّ غيرها مسدَّها، ألا ترى أن السورة كلها -التي هي سورة النجم- مسجوعة على حرف الياء[71]، فقال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾النجم [1، 2] وكذلك إلى آخر السورة، فلما ذكر الأصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ النجم [21، 22] فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها. وإذا نزلنا معك أيُّها المعاند على ما تريد قلنا: إن غير هذه اللفظة أحسن منها، ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها، ولا مناسبة؛ لأنها تكون خارجة عن حرف السورة. وسأبيّن ذلك فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة، قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة، ولا شكَّ أن "جائرة " أو "ظالمة" أحسن من "ضِيزَى"، إلّا أنَّا إذا نظمنا الكلام، قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك قسمة ظالمة، لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوَّز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق، ومعرفة بنظم الكلام. فلمَّا سمع الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحامًا، ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيًا، ويقولون ما يقولونه جهلًا، وإذا حققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم)[72]. فالمناظرة تكشف لنا أن لفظة (ضيزى) بغرابتها اللفظية كانت مصدراً للإعجاز لأنها جاءت متوائمة مع الجانبين الإيقاعي والمعنوي، مع أن ابن الأثير لم يتناول مواءمة اللفظة لجانب المعنى.

ولقد نحا الأديب مصطفي صادق الرافعي منحي ابن الأثير حين كشف عن أسرار اختيار لفظة (ضِيزَى) على غيرها من الألفاظ التي ترادفها في اللغة العربية، فأشار إلى

فصاحة (ضيزى) من الجانبين اللفظي والمعنوي الذي يتمثل في مناسبة إيقاع لفظة (ضِيزَى) لفواصل السورة التي جاءت على الألف المقصورة، ومناسبة غرابة اللفظة لغرابة القسمة، إذ يرى أن تلك اللفظة الغريبة الفريدة تحمل في تركيبها الصوتي رسالة خاصة لإثارة نفس المتلقي. فقال: (في القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضِيزَى) من قوله تعالى: "تلك إذاً قِسْمةٌ ضيزى"، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، وأدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإنّ السورة التي هي منها –وهي سورة النجم– مفصلة كلّها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الأصنام بنات لله مع وأدهم البنات، فقال تعالى ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ فكانت غرابة اللفظ أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها)[73].

ولما كان إيقاع لفظة (ضِيزَي) لا ينفصل عن إيقاع السورة العام، فنجد أن الشهيد سيد قطب في تفسيره لسورة النجم يسبح في آفاق واسعة من الجمال الفني الموسيقي للسورة، فيُفصِّل الحديث عن موضوع السورة وجوها الروحي وأحداثها النورانية، وإيحاءاتها وظلالها ومشاهدها، وإيقاعها وتنغيمها وفواصلها الموزونة المقفاة، إذ يقول: (هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية، منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة. ويُلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة؛ ويبدو القصد فيه واضحاً في بعض المواضع؛ وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية، لتضمن سلامة التنغيم ودقة إيقاعه، إلى جانب المعنى المقصود الذي تؤديه في السياق، كما هي عادة التعبير القرآن، إذ يقول: (أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى) فلو قال ومناة الأخرى، ينكسر الوزن. ولو قال: ومناة الثالثة فقط، يتعطل إيقاع القافية، ولكل كلمة قيمتها في معنى العبارة. ولكن مراعاة الوزن والقافية كذلك ملحوظة. ومثلها كلمة (إذن) في وزن الآيتين بعدها: (ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذاً قسمةٌ ضيزى) وكلمة (إذن) ضرورية للوزن. وإن كانت مع هذا تؤدي غرضا فنيا في العبارة)[74].

ولعلّ هذا الجمال الفني في القرآن الكريم ما جعل أهل مكة في بداية نزول الوحي يصفون القرآن الكريم بالشعر، لأنهم لم يعهدوا مثل هذا الإيقاع والوزن وهذا النغم إلا في

الشعر. ولما راعهم بيانه، وتآلف كلماته، وتناسق عباراته، وتصويره البديع، لجأوا لوصفه بالسحر، ثم لم يملك زعيمهم الوليد بن المغيرة إلا أن يقول: (واللهِ إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعَذِقٌ، [قال ابن هشام ويُقال لغَدِق] وإنّ فرعه لجُناَةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً –الشعر والسحر– إلا عُرف أنه باطلٌ)(75). والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

ختاماً، من خلال دراستنا السابقة للفظة (ضِيزَى) نستطيع القول إن لفظة (ضِيزَى) تُمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز اللفظي البلاغي في القرآن الكريم، فألفاظ القرآن تمثل حزمة من النور والضياء، فكل لفظة لها إشعاعاتها الخاصة الدلالية والبلاغية والإيقاعية والفنية، حيث لا نستطيع أن نستبدل لفظة بأخرى، لأن إعجاز القرآن الكريم المتفق عليه بين العلماء مُذ تحدّى العرب وقت نزوله؛ هو الإعجاز البياني، الذي يعتمد على ألفاظ القرآن الكريم، والتي تمثل الأساس الثابت المحوري لنظم الآيات وبنائها وتناسقها، كما أن إعجاز القرآن الكريم للعرب قديماً لم يكن بالكم، وإنما كان بنوعية النظم، فإعجاز القرآن يشعُّ من ألفاظ وتركيب أطول سورة في القرآن الكريم وهي سورة البقرة، كما يضئ من أقصر سورة فيه وهي سورة الإخلاص. ولعلّ هذا البحث يفتح باباً جديداً لدراسة ألفاظ القرآن وما توحيه من دلالات واسعة من خلال السياق الذي وردت فيه، فبلاغة لفظة (ضِيزَى) في القرآن الكريم ليست مجردِ ظاهرةِ لفظية، بل دليل على عظمة البيان القرآني الذي يخاطب العقل البشري والوجدان الإنساني. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا البحث إضافة طيبة لمكتبة الدراسات البلاغية في القرآن الكريم.

حواشي البحث

1- المفردات في غريب القرآن 3/1
2 المفردات في غريب القرآن 4/1
3- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، / مادة (غ ر ب) 671/2.
4- تهذيب اللغة، مادة (غ ر ب) 115/8.
5- لسان العرب، مادة (غ ر ب) 640/1.
6- دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شارك ، ص398.

7- غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي ، 70/1 . 71.
8- البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، 293/1.
9- البرهان في علوم القرآن، 296،291/1.
10- البرهان في علوم القرآن، 291/1.
11- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص27.
12- دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ص387.
13- مقدمة أصول التفسير، ص5.
14- ألمقدمة، ص438.
15- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 19
16- الإتقان في علوم القرآن 149/1
17- التفسير والمفسرون، الذهبي 38/1.
18- ألمقدمة 446.
19- الإتقان في علوم القرآن 149/1.
20- الإتقان في علوم القرآن 149/1.
21- الإتقان في علوم القرآن 67/2.
22- البرهان في علوم القرآن 293/1.
23- إعجاز القرآن، ص71.
24- إعجاز القرآن ص71
25- إعجاز القرآن، ص72
26 – معجم العين، مادة (ف ر د)
27- أساس البلاغة، مادة (ف ر د).
28- معجم لسان العرب، مادة (ف ر د).
29- بمعنى خسارتها وفقدانها من الكلام.
30- تحرير التحبير، ص: 576
31- تحرير التحبير، ص: 576 – 577
32- تحرير التحبير، ص: 577 – 578
33- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ص: 245
34- خزانة الأدب وغاية الأرب، 2/ 2979 – 298
35- شرح عقود الجمان، ص: 342
36- شرح عقود الجمان، ص: 319، 321، 323، 328، 332، 335
37- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ص: 6
38- معاني القرآن: 98/3
39- تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن: 522/22
40- مجاز القرآن 2 / 237

41- غريب القرآن، ص: 428
42- جامع البيان في تأويل القرآن، 525/22
43- تأويلات أهل السنة 424/9
44- معاني القراءات 3 / 38
45- النكت والعيون 399/5
46- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد 106/27
47- معاني القرآن 3/ 98
48- جامع البيان في تأويل القرآن 525/22
49- الحجة للقراء السبعة 6/ 232
50- الوسيط في تفسير القرآن المجيد 199/4
51- تفسير القرآن 295/5
52- معالم التنزيل في تفسير القرآن 309/4
53- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 201/5
54- زاد المسير في علم التفسير 188/4
55- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير 28/ 248
56- الجامع لأحكام القرآن 102/17
57- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 95
58- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 5/ 506
59- التحرير والتنوير: 106/27
60- غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6 / 205
61- انظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي 8 / 112
62- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ 146 – 147
63- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار، ص: 113
64- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص: 499
65- البلاغة العربية 2/ 478
66- الإتقان في علوم القرآن 3/ 204
67- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 19/ 59 – 60
68- مجلة الرسالة، من أسرار الوضع في اللغة العربية، العدد 831، ص: 21
69- المثل السائر، 175/2
70- المثل السائر، 176/2
71- يبدو أن ابن الأثير ركز على رسم الحرف، لا على صوته مع أن الحرف ألف مقصورة
72- المثل السائر 2/ 176
73- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 304
74- في ظلال القرآن 6/ 162

75- السيرة النبوية لابن هشام 1/ 270

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة، الزمخشري، المؤلف: أبو القاسم جار الله، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1998م – 1419هـ
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المؤلف: مصطفي صادق الرافعي، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر، الطبعة الثالثة 1346هـ – 1928م، أمر بهذه الطبعة صاحب الجلالة ملك مصر أحمد فؤاد الأول.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ- 2002 م.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المؤلف: دكتور فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض – السعودية الطبعة الأولى 1413هـ.
- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: بدر الدين الزركشي، دار المعرفة بيروت – لبنان، 1391هـ – 1972م.
- البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984م.

- تحفة الريب بما في القرآن من الغريب، المؤلف: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي، تحقيق دكتور أحمد مطلوب، ودكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى 1379هـ - 1964م.
- التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الطبعة الأولى 1384هـ - 1964م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بدران، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩١م.
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت1069هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.
- الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993م
- خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت 837هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، الطبعة الأخيرة 2004م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن

يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م
- عقود الجمان في المعاني والبيان، المؤلف: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق إبراهيم محمد الحمداني، وأمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2011م.
- العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2002م - 1424هـ
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العرباوي، دار الفكر دمشق – سوريا، الطبعة الأولى 1402هـ - 1983م.
- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: 1398 هـ - 1978م.
- لسان العرب، المؤلف ابن منظور، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 1423هـ - 2003م، دار الشروق أسسها محمد المعلم عام 1968م.

- مجاز القرآن، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: 1381هـ
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ) تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
- مجلة الرسالة، أصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات، من أسرار الوضع في اللغة العربية، للأستاذ جلال الحنفي، العدد 831، بتاريخ 6 / 6 / 1949م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – 1422هـ
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ
- المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم أنيس وآخرون، دار عمران، مطابع الأوفست، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة 1405هـ – 1985م.
- معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1991م.
- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي – محمد علي النجار– عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر. الطبعة: الأولى.
- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ

- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق نزار مصطفى الباز، الناشر دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- مقدمة ابن خلدون، المؤلف: عبد الرحمن بن خلدون، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة 1981م.
- مقدمة في أصول التفسير، المؤلف: ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، المطبعة السلفية ومكتبتها، الروضة، القاهرة، الطبعة الثالثة 1397هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية الطبعة: الأولى ١٣٨٩– ١٩٦٩م، ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
- النكت والعيون، تفسير الماوردي، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م